الاستشراف والتخطيط النبوي في التنمية الاقتصادية و الاجتماعية

إعداد

د . شهيد كري فليح القيسي و م.م صباح كريم محسن العبيدي

كلية العلوم الإسلامية كلية التربية(الأصمعي

جامعة ديالى جامعة ديالى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، و على آله و صحبه أجمعين، وبعد.. إن أهمية أي علم تكمن **في** تأثير ودور ذلك العلم في واقع المجتمع من حيث دفعه لعجلة التقدم والازدهار محافظا على التماسك في أجزائه والقوة في بنيانه وكذلك حاجة الناس إلى ذلك العلم ومدى تأثيره في واقع حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وما يهيئ لهم من آفاق رحبة تملي عليهم الخير والسعادة مع تمكنه من زحزحة كثير من العقبات التي تعترضهم أو تقليل آثارها السلبية ولكي نرسم الآفاق العلمية لتلك الحياة لا بد من تحديد أبعادها ورسم خطواتها وأهدافها البعيدة ومنها الآفاق المستقبلية ولذلك يتبين لنا خطورة وأهمية الاستشراف والتخطيط لأن فيه حياة للأمم وتقدماً للشعوب وتقليل أضرار ما يعترضها من عوارض وحواجز وهي تشق طريقها إلى الأمام .ومطالعة المستقبل أو استشرافه ضرب من الفقه الذي يتجاوز فيه صاحب الرؤية حدود الأمر الواقع إلى ما هو متوقع، إنه نوع من الحدس التاريخي المبني على منهج علمي يستقرئ السنن والقوانين التي تحكم المجتمع. والدخول إلى المستقبل لا يكون بغير تخطيط مدروس تحدد فيه الأهداف، ليصار إلى تحديد الوسائل والأدوات المكافئة لتحقيق هذه الأهداف، وجامع ما بينه وبين الاستشراف أن كلا منهما يبنى على منهج علمي ينأى عن التخبط و التعامل مع المستقبل بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. والناظر في السنة النبوية يجد فيها مساحة واسعة حول كل من هذين المفهومين وفي القرن الحالي تأخرت أمتنا عن هذا العلم المهم كما تأخرت عن غيره من العلوم فتأخرت عن قيادة ركب الحياة . ومن هنا فان دراسة المستقبل لا ينبغي إهمالها بل أصبحت ضرورة من الضروريات لأي مجتمع أو دولة لا يمكن أن تعيش من دونها أمنةً مطمئنةً .وقد أخذ هذا العلم حجماً كبير في السنة المشرفة وتناول جوانباً عديدة منها السياسي والاجتماعي والاقتصادي وفي الجانب الاقتصادي تناولت الدراسات المستقبلية في السنة النبوية الحديث عن ثروات اقتصادية تضمها الأمة الإسلامية منها كان موجودا في عهد الصحابة الكرام ومنها لم يعرف آنذاك والأحاديث في ذلك كشف عن طاقات وثروات اقتصادية كبيرة. وذلك من إكرام الرب لهذه الأمة، ومعلوم إنَ أحد أسباب النهضة لكل امة هو الجانب الاقتصادي وفي ذلك دعوة لحسن استثماره خدمة للأمة، وتحقيقاً لأهدافها والتعامل مع الأموال وفق المنهج الاقتصادي الإسلامي ، وإن لم يحسن استثماره فإنه وبال على الأمة وهلاك كما اهلك الأمم من قبلنا . وقد رسمت لنا السنة المشرفة المنهج المتكامل للتعامل مع تلك الطاقات الاقتصادية وطرق الاستثمار والازدهار ومن ثم المحافظة عليها من الزوال الذي يمكن إجمالها بالتنمية الاقتصادية.. وهذه التنمية لا تحدث بمعزل عن الجوانب الأخرى

من الأمن والاستقرار السياسي وانحسار الظلم التي توصف بالتنمية الاجتماعية.. ولذا كانت الدراسة المختصرة في هذا البحث تتناول شيء من الاستشراف المستقبلي الذي أخبرت به السنة المباركة في الجانب الاقتصادي وأمثلة من التخطيط الاقتصادي الذي خطه المصطفى صلى الله عليه وسلم استطاع بموجبه ان يتجاوز كثير من المحن التي واجهت الأمة وتمنحنا هذه الدراسة الثقة بالمستقبل الاقتصادي والإمكانيات المتاحة وسبل التعامل معها وتنميتها والحفاظ عليها وقد أشتمل البحث على.....

المبحث الأول: الاستشراف: تعريفه، أهميته ،ضوابطه ،أنواعه.

المبحث الثاني: التخطيط الاقتصادي : تعريفه ، أهميته ،نماذج مختارة.

المبحث الثالث: الاستشراف النبوي في الجانب الاقتصادي، نماذج مختارة.

وأخيرا خلاصة البحث مع أهم النتائج داعين المولى بالتوفيق والسداد لمزيد التواصل والعطاء العلمي .

الباحثان

المبحث الأول : الاستشراف

أولاً: الاستشراف

الاسْتِشْرافُ لغةً: أَن تَضَع يدك على حاجبك وتنظر وأَصله من الشرَف العُلُوّ كأَنه ينظر إليه من موضع مُرْتَفِع فيكون أَكثر لإدراكه .[١]

ومنه حديث الأضاحي [أُمِرْنا أن نَسْتَشْرِف العَينَ والأذُن][٢] أي نَتأمَّل سَلاَمَتهما من آفة تكون بهما وقيل هو من الشُّرْفَة وهي خيارُ المال . أي أُمِرْنا أن نتخيَّرها[٣] .

استشراف المستقبل

عند النظر في الأبحاث والدراسات التي تناولت بالدراسة والتحليل الاستشراف و آفاق المستقبل في العالمين العربي والإسلامي ، نجد مصطلحات عديدة نعت بها هذا العلم ، مثل :(استشراف المستقبل) ، (المستقبلية) ، (علوم المستقبل)، (التنبؤ بالمستقبل) ، (صور المستقبل البديلة) (التخطيط المستقبلي)، و (علوم الغد) [٤]

---

(١) – لسان العرب – (٩ / ١٦٩)و تاج العروس من جواهر القاموس – (٢٤ / ٣٢٧)

(٢) – صحيح ابن خزيمة – (٤ / ٢٩٣)

(٣) – النهاية في غريب الأثر – (٢ / ١١٤٢)

(٤) – ينظر : حاجتنا إلى علوم المستقبل للأستاذ محمد حبش : ص ٥١

لذا فإن علم دراسة المستقبل أو استشراف المستقبل في الاصطلاح هو : (اجتهاد علمي منظم يرمي صوغ مجموعة من النبوءات المشروطة والتي تشمل المعالم الرئيسية لأوضاع مجتمع أو مجموعة من المجتمعات وعبر فترة تمتد لأبعد من عشرين سنة وتنطلق من بعض الافتراضات الخاصة حول الماضي والحاضر واستكشاف اثر دخول عناصر مستقبلية ولا يستبعد إمكانية استكشاف نوعية وحجم التغيرات الأساسية الواجب حدوثها في مجتمع ما حتى يتشكل مستقبله على نحو معين منشود) [١] .. واصطلح في معناه على ما ينتظر من الحوادث والوقائع في قابل الأيام أو الشهور أو السنين.

ثانيا: أهمية الاستشراف المستقبلي.

إن أهمية أي علم تكمن في تأثير ودور ذلك العلم في واقع المجتمع من حيث دفعه لعجلة التقدم والازدهار محافظا على التماسك في أجزائه والقوة في بنيانه وكذلك حاجة الناس إلى ذلك العلم ومدى تأثيره في واقع حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وما يهيئ لهم من آفاق رحبة تملي عليهم الخير والسعادة مع تمكنه من زحزحة كثير من العقبات التي تعترضهم أو تقليل آثارها السلبية ، ومعلوم أن أعظم وظيفة للإنسان على الأرض هي إخضاعها لمنهج الحق في شتى نواحيها . ولكي نرسم الآفاق العلمية لتلك الحياة لا بد من تحديد أبعادها ورسم خطواتها وأهدافها البعيدة ومنها الآفاق المستقبلية ؛ لان تلك الأمة يعد لها أن تقود زمام الأمور وتأخذ بناصية الأمم نحو الخير والسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ولذلك يتبين لنا خطورة وأهمية (علم المستقبل) لأن فيه حياة للأمم وتقدماً للشعوب وتقليل أضرار ما يعترضها من عوارض وحواجز وهي تشق طريقها إلى الأمام .

وفي القرن الحالي تأخرت أمتنا عن هذا العلم المهم كما تأخرت عن غيره من العلوم فتأخرت عن قيادة ركب الحياة .

أما الغرب فنراه من وقت مبكر خصوصا القرن المنصرم فقد اهتموا كثيراً بذلك العلم في شتى مجالات الحياة وقد جنو من ذلك المنافع والثمار التي لا تعد .

وهذا العلم لم يعد هينا يستهان به بل أصبح فرصاً ذهبية كما يقال لا يحق الإبطاء والتخلف عنه .والسر في ذلك أن الحياة من قبل ، كانت سهلة والعوامل التي كانت تساهم في صنع الحدث مهما عظم قليلة ومعروفة غالبا ، والأهداف المتوخاة خالية من الغموض غير خافية ، ومن ثم بمقدور الأطراف المعنية التعامل معها وتجنب مفاجأتها ، لان فرص الاحتمالات ضيقة بسبب بساطة الحياة.

---

(١) – صور المستقبل العربي ، مجموعة من الباحثين العرب : ص ٢٣ .

أما في الوقت الراهن ، فالحال مختلفة تماما فقد غدت الحياة أكثر صعوبةً وأكثر تعقيداً ، وصار الحدث فيها وليد جهات عديدة متداخلة ومؤثرة في صنعه . بعضها ظاهر وبعضها خفي ، فضلا عما يشهده العالم من تقلبات سريعة وتطورات مذهلة فيها دائما المفاجئ وما ليس بالحسبان ،وبالتالي فان الأطراف التي تفتقر إلى خبرة بالمستقبل ، لن تتمكن من العيش بسلام مع أطراف أخرى خبرت المستقبل ، واعدت له عدته واستعدت لكل مفاجأته .

ومن هنا فان دراسة المستقبل لا ينبغي إهمالها بل أصبحت ضرورة من الضروريات لأي مجتمع أو دولة لا يمكن أن تعيش من دونها أمنةً مطمئنةً .وقد أخذ هذا العلم حجماً كبير في السنة المشرفة وتناول جوانباً عديدة منها السياسي والاجتماعي والاقتصادي وفي الجانب الاقتصادي تناولت الدراسات المستقبلية في السنة النبوية الحديث عن ثروات اقتصادية تضمها الأمة الإسلامية منها كان موجودا في عهد الصحابة الكرام ومنها لم يعرف آنذاك والأحاديث في ذلك كشف عن طاقات وثروات اقتصادية كبيرة. وذلك من إكرام الرب لهذه الأمة، ومعلوم إنَ أحد أسباب النهضة لكل امة هو الجانب الاقتصادي ، وقد رزق الله هذه الأمة أعظم الثروات وخص العالم الإسلامي بأفضل واكبر الطاقات على مستوى الكرة الأرضية ، وفي ذلك دعوة لحسن استثماره خدمة للأمة، وتحقيقاً لأهدافها والتعامل مع الأموال وفق المنهج الاقتصادي الإسلامي ، وإن لم يحسن استثماره فإنه وبال على الأمة وهلاك كما اهلك الأمم من قبلنا . وقد رسمت لنا السنة المشرفة المنهج المتكامل للتعامل مع تلك الطاقات الاقتصادية وطرق الاستثمار والازدهار ومن ثم المحافظة عليها من الزوال الذي يمكن إجمالها بالتنمية الاقتصادية.. التي تعني تحقيق معدل سريع للتوسع الاقتصادي تنتقل به الدولة المتخلفة من معيشة الكفاف إلى مستويات متقدمة من الرفاه الاقتصادي، وتزداد به معدلات النمو في الدول المتقدمة. وهذه التنمية لا تحدث بمعزل عن الجوانب الأخرى من الأمن والاستقرار السياسي وانحسار الظلم التي توصف بالتنمية الاجتماعية التي تدور على تحقيق العدالة الاجتماعية، التي تستلزم إحلال اليسر بدل العسر، والحيلولة دون الظلم والجور وتحقيق الرفاه العام.[1]

(١) – ينظر: اهتمام السنة بالاستشراف و التخطيط للاستاذ الدكتور كايد يوسف قرعوش،مقال عبر شبكة الانترنيت.

وعلم دراسة المستقبل ليس أمراً مستحيلاً ، كما يذكر الأستاذ مراد هوفمان [١] في كتابه مستقبل الإسلام في الغرب والشرق ، وقد يبدو أن التنبؤ بالتصورات الكبرى في المستقبل القريب والمتوسط والبعيد أمر مستحيل ومناف للطبيعة والعقل ، ليس علم المستقبل نشاطا تخمينا فحسب بل هو علم خطير أيضا . والواقع أن كثيراً من المسلمين لا يستطيعون الموافقة على تقييم ماضيهم ناهيك عن تقييم واقعهم الحاضر ، إذ يرى فريق من المسلمين إن التاريخ الإسلامي إنما هو في انحدار مستمر وكل جيل يصبح اقل موثوقية وصدقا ، ألم يروِ البخاري عن الزُّبَيْرِ بن عَدِيٍّ قال أَتَيْنَا أَنَسَ بن مَالِكٍ فَشَكَوْنَا إليه ما يلقون من الْحَجَّاجِ فقال : ((اصْبِرُوا فإنه لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إلا الذي بَعْدَهُ شَرٌّ منه حتى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ سَمِعْتُهُ من نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم)) [٢]في حين يرى آخرون إن التاريخ الإسلامي حركة هبوط وصعود ، ويرى فريق ثالث أكثر تفاؤلا إن الإسلام في تقدم مستمر إذ انتشر الإسلام في جميع أنحاء العالم وأصبح عدد المسلمين اليوم أكثر من مليار ونصف مليار نسمة ويحتجون تأييدا لرأيهم بأننا نفهم القرآن والكون أكثر من ذي قبل وخصوصا فهمنا للكون .

ومع ذلك أصبح توقع أحداث المستقبل سلفا أكثر صعوبة من ذي قبل بسبب تسارع الحياة الملحوظ اثر الثورة الالكترونية المتميزة بالاتصالات العالمية وتدفق المعلومات المستمر وإخضاع مناحي الحياة كلها للرقمية .فكيف يمكننا التأكد من أي تطور في عالم معقد جداً كفراشة تخفق بجناحيها في كاليفورنيا تستطيع التأثير على تنبؤات الطقس في أوربا؟ ألا يمكن أن يظهر مثلاً مجدد الألف الثالث معادل لإبن تيميه رحمه الله المتوفى في العام ١٣٢٨ م [٣].

إن دراسة المستقبل تعمل :

أولا على تحديد المسارات التي ينبغي على الأمة سلوكها ، وعدم الخروج عليها إلا لطارئ غير محسوب ، وترسم نظريات لمستقبل مرغوب فيه ، يحقق الأهداف والطموحات المتوخاة ، وتقترح في الوقت نفسه ، خططا وإستراتيجيات غرضها تحويل هذا الشكل المرسوم إلى مستقبل ممكن .

---

(١) – مراد ويلفر هوفمان : ألماني من مواليد ١٩٣١ ، خبير في وزارة الخارجية (مجال الدفاع الجوي) مدير قسم المعلومات بحلف الناتو في بروكسيل ١٩٨٣ . ١٩٨٧ ، سفير بلاده في الجزائر (١٩٨٧ . ١٩٩٠) ثم في المغرب (١٩٩٠ . ١٩٩٤) كاثوليكي تحول إلى الإسلام عام ١٩٨٠ فكان إسلامه موضع نقاش بسبب منصبه الرفيع في دولته ، من مؤلفاته : الطريق إلى مكة ، الإسلام كبديل ، الإسلام في الألفية الثالثة ، ديانة في صعود ، ينظر : مستقبل الإسلام في الغرب والشرق ، مراد هوفمان ، د . عبد المجيد الشرقي الصفحة الثانية للغلاف.

(٢) – صحيح البخاري : ٦ / ٢٥٩١

(٣) – ينظر : مستقبل الإسلام في الغرب والشرق ، بتصرف : ص ١١٥ . ١١٧ ، ومستقبل الإسلام لعدد من الباحثين : ص ٩٤ .

وهي ثانياً ،تقف على المجريات الصائبة في مجريات الأحداث وإدارة دفة الحياة بغية مساعدة صانعي القرار على التقدم نحو الأهداف الطويلة المدى التي تم رسمها كما إنها تقف على التدبيرات الواجب اتخاذها كل في أوانه بقصد الوصول إلى هذا الهدف أو ذاك .(١).

وهنالك فوائد أخرى في أهمية الدراسات المستقبلية ومنها :

١. الإيمان بهذه الأخبار إذا تحققنا صدقها وهو من الإيمان برسوله قال تعالى : [ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ] سورة البقرة : الآيتان (٢ و ٣) .
٢. وقوع تلك الأخبار كما أخبرت بها السنة ، يثبت الإيمان ويقويه فقد شاهد الصحابة انتصار الروم على الفرس وظهور الإسلام على جميع الأديان .
٣. دل الرسول ﷺ على المنهج الامثل الذي ينبغي أن يسلكه المجددون وصناع الحياة من المصلحين في الوقائع التي وقعت في عصره والأحداث من بعده وكيف يتصرفون معها على الوجه الامثل .
٤. بيان للحكم الشرعي في الوقائع التي تحتاج إلى ذلك ، ولو ترك المسلمون إلى اجتهادهم فإنهم قد يختلفون وقد لا يهتدون إلى الصواب .
٥. التطلع لأحداث المستقبل أمر فطري فالإنسان يجد في نفسه رغبة شديدة في معرفة الوقائع والكائنات التي تحدث للجنس الإنساني أو تحدث للأمة التي هو منها .(٢) .
٦. – تقديم رؤية ثاقبة ذات أبعاد مبنية على أسس وأوليات تعطي نتائج متوقعة إلى حد كبير يعتمد على الدقة والواقعية في تحديد الأهداف ورسم الاستراتيجيات والاستفادة من معطيات الحاضر بأقصى درجة لقيادة المستقبل.
٧. القدرة على المقارنة الواعية بين النتائج التي تنجم عن اختيارنا وبين التي تتم ونجد أنفسنا فيها دون استعداد يذكر.
٨. التعرف على إمكانيات الصف الإسلامي في ظل الظروف الحالية وما يمكن أن نحافظ عليه منها وما يمكن أن نتنازل عنه، كما يجب أن نعيش الواقع بكل زواياه ونتعرف على خطط المواجهة، ونعد لذلك خططاً للتطور مستفيدين من كل المكتسبات والقوى الداخلية والخارجية، مع عدم إغفال حال الطوارئ، وما يواجهه المستقبل الدعوي من تحديات، وما

(١) – ينظر : استشراف المستقبل في الحديث النبوي ، بحث للدكتور محمد بشار الفيضي ص٣.
(٢) – ينظر : اليوم الآخر، القيامة الصغرى وعلامات القيامة الكبرى ، لـ د . عمر سليمان الأشقر: ص ١٣٠ . ١٣٢ .

يفرضه ذلك من تدريب وإعداد من شأنه أن يقلل الخسائر، ويفتح أعيننا على أهمية تنويع مواردنا المالية وأنشطتنا الدعوية، وتكثيف الاستثمار في التربية الإبداعية لأجيالنا القادمة [١].

وقد حضي هذا العلم باهتمام الغربيين في القرن المنصرم والحالي أكثر من غيرهم من المسلمين كما ذكرنا قبل قليل ، لذا عند البحث عن هذا العلم نجد من الضروري بحثه في مقالاتهم وكتبهم.[٢].

والغربيون لهم في الدلالة على هذا العلم عدة مصطلحات وقد جاء هذا التعدد تبعا لتنوع الألفاظ الدالة على هذا العلم عند أهله .

فالناطقون بالإنكليزية يستعملون المصطلح الآتي ((Futurology)) وتترجم بالمستقبلية أو علم المستقبل، أما الناطقون بالفرنسية فلديهم مصطلح شائع ابتدعه رائد علم المستقبل عندهم : غاستون برجد وهو مصطلح ((Prospectiv)) وهو مشتق من فعل ((Prospective)) أي تنقيب وفحص بتدقيق وانتظام . أما الأمريكيون فلديهم مصطلح يناسب نزعتهم إلى الحروب ، وهو مصطلح ((Petahism)) وقد استعمله العالم الأمريكي الفلكي توفلر في كتابه الشهير (صدمة المستقبل) وهو يدل على اتجاه مفرط في المعاداة لكل ما هو تقليدي مألوف ، يؤمن بالمادة ويرى فيها طاقة الحياة . [٣].

ويذكر أن السويد أنشأت وزارة تابعة لرئيس الوزراء للاهتمام بالمستقبل وذلك منذ عام ١٩٧٣ ، كما انه بلغ عدد المؤسسات المهتمة بالدراسات المستقبلية في أمريكا وحدها نحو من ٦٠ مؤسسة ويذكر بعضهم أن الدراسات المستقبلية تشكل حاليا نحو من ٤١٥ مقررا دراسيا موزعا على ١٨ ولاية أمريكية [٤] .

ثالثاً: معالم استشراف المستقبل وفق منظور العصر الحديث

هذه المعالم يمكن إجمالها فيما يأتي :

١. انه اجتهاد علمي : وهذا يعني انه ليس من النبوءات التي يمارسها العرافون وغيرهم والقائمة على أساس أن المستقبل محسوم ، المطلوب هو الكشف عنه وتجلية أحداثه ليس إلا ، ومعلوم ما في تلك النبوءات التي يمارسها الكهنة والعرافون من شعوذة ودجل وتعطيل

(١) – [المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى ٥/ ١٢]

(٢) – ينظر : صناعة القائد، د .طارق محمد السويدان وأ .فيصل عمر باشراحيل ص ٧٠ . ٧١ .

(٣) – ينظر : حاجتنا إلى علوم المستقبل للأستاذ محمد حبش : ص ٥١

(٤) – مدخل إلى التنمية المتكاملة، أ .د عبد الكريم بكار: ص ١٣٦

لمواهب الإنسان وقدراته وتضليله فضلاً عن ارتكاب الإنسان الكبائر والمعاصي التي تهلكه في الدنيا والآخرة . كماجاءت بذلك الأحاديث منها عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالْحَسَنِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : ((مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))[١]

وهو أيضا ليس اجتهاداً معصوماً ، يمتنع عليه الخطأ في توقعاته ونجاحه ، بل إن احتمال الخطأ فيه وارد جدا ، والوحيد المؤكد في الدراسات المستقبلية ، كما يقول بعض الباحثين بهذا الصدد ،هو حومان الريب حول توقعاتها جميعا [٢] ، فهو جهد بشري معرض للخطأ والنسيان وذات قابليات متفاوتة بين شخص وآخر تتأثر بواقعة البيئة التي يعيشها الشخص والظروف المؤثرة فيه ومدى تمكن الشخص من سعة الإطلاع والدراسة والتحليل لأفاق المستقبل .

٢. انه يستوعب في اجتهاده الماضي والحاضر ، وصولا إلى استكشاف المستقبل ، ونتائجه مستفادة منهما ومبتنآه عليهما ؛ لان التفكير بالمستقبل قراءة للواقع من خلال المستقبل ، وليس اهتماما من أجل الاكتفاء بالتخمين فيه ، والتنبؤ بأحداثه ، إذ لا فائدة ترجى منه إذا لم ينعكس على الواقع فيغيره نحو الطموح ؛ لان الواقع ما هو إلا محصلة تطور تاريخي طويل تفهم تجلياته وحيثياته من حقب التاريخ السابقة له .

٣. إن له مدى معلوما يربو على عشرين عاماً ، ومده بعض الباحثين إلى ثلاثين عاما كحد أقصى .

وتحديد هذه الفترة منبعث من عادة الإنسان في الاهتمام بالمستقبل القريب الذي يعينه على جبلته في الاثرة والأنانية دون التفكير بمصالح من بعده ، وقد يكون له مسوغ آخر ، وهو أن المدة فوق ذلك تجعل من العسير رسم أحداث لها ، أو وضع افتراضات صادقة ، فضلاً عن أن هذا جهد بشري متأثر بالبيئة والظروف التي تحيط به التي لها الدور الفاعل في توجيه الفكر الإنساني وتحديد الطاقة البشرية المتفاوتة وما تهيأت من عوامل ووسائل مختلفة لها التأثير الفعال في وسع الإدراك وتحديد آفاق المستقبل .[٣]

رابعاً : معالم دراسة المستقبل وفق المنظور النبوي

ومع تشخيص هذه العوامل الرئيسة يبدو لنا أن دراسة المستقبل في ضوء الحديث النبوي الشريف يتفق مع هذا العلم في وجه ويختلف معه في وجوه .

---

(١) – مسند الإمام احمد بن حنبل للامام احمد بن حنبل رقم الحديث ٩٥٣٢ : ٢ / ٤٢٩ .

(٢) – حاجتنا إلى علوم المستقبل ، أ.محمد حبش ، ص ٥١

(٣) – ينظر : استشراف المستقبل ، للدكتور الفيضي : ص ٥

أما وجه الاتفاق فهو النظر إلى المستقبل بدقة لغرض استبصاره وتبيينه وما يحمل من توقعات واحتمالات فيها السلب والإيجاب من خلال ذلك رسم الآفاق البعيدة والخطوات الثابتة الرصينة لبناء مستقبل أفضل وحياة أجمل وتيسير للعقبات وتجاوز لأهم المحن بأقل الخسائر وأفضل النتائج .

وأما أوجه الاختلاف فعديدة نذكر أهمها :

أولاً : إن دراسة المستقبل في الحديث النبوي الشريف ، ليس اجتهادا ، قابلا للصواب والخطأ ، وخاضعا لقدرة المجتهد في سعة الإحاطة بالمستقبل ، بل هي وحيٌ سماوي لا مجال للخطأ في تقديراته ، ولا ينافسه في الإحاطة بالمستقبل أحد ، فالنبي ﷺ أوحي إليه بالمستقبل ، كشفا للغيب فكان يبينه لامته وكان يراه ، ولذا يحدثهم به على سبيل الجزم واليقين والاستيعاب والشمول .

ولنتأمل هذه النصوص :

١. عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ : ((قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ))[١]

٢. وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنُ الْيَمَانِ ﷺ : ((وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَصْحَابِي أَمْ تَنَاسَوْا وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ الدُّنْيَا يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلَاثَ مِائَةٍ فَصَاعِدًا إِلَّا قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَاسْمِ قَبِيلَتِهِ)) [٢].

٣. عَنْ عَمْرِو بْنِ أَخْطَبَ ﷺ قَالَ : ((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتْ الظُّهْرُ فَنَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتْ الْعَصْرُ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتْ الشَّمْسُ فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا)) .[٣].

ثانياً : لا علاقة لدراسة المستقبل في الحديث النبوي الشريف بالماضي والحاضر ، فهو لا يعتمدها للوصول إلى رسم صورة المستقبل ، بل علاقته بسنن الله الكونية التي تنظم الماضي والحاضر والمستقبل ، وهي سنن ثابتة وصفها المولى سبحانه وتعالى بكونها سنن لا تتبدل و لا تتحول .

---

(١) – صحيح البخاري:٤ / ٢٢١٧ .

(٢) – سنن أبي داود : ص ١٢١.

(٣) – صحيح مسلم– (٤ / ٢٢١٧) .

ولذا قد يتضمن الحديث الشريف إشارات إلى الماضي أو تنويها بالحاضر لكن على سبيل التعريف بهذه السنن أو التذكير بها ، بغية الاتعاظ واخذ العبرة ليس إلا .

ثالثاً : ليس لدراسة المستقبل في الحديث الشريف مدى محدود يذكر بالسنين ، بل مداه واسع يمتد إلى وقت انتفاء الفائدة من هذا العلم وهو ساعة خراب الدنيا فما دام على وجه البسيطة مؤمن ، فان هذا العلم قائم ، وبمقدور المؤمن الانتفاع منه وله بعد آخر في المدى يتجاوز فيه الحياة الدنيا إلى العالم الآخر وليس هنا محل بسطه .

رابعاً : دراسة المستقبل من خلال الحديث الشريف يتضمن دراسة مستقبلية تفصيلية لواقع الأمة في مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ولا يكتفي بالإجمال أحيانا بل ينتقل إلى تفاصيل دقيقة تبين مثلا ما تتعرض الأمة له من تداعيات وغزوات موضحا العلة من ذلك فقلما يذكر ما يصيب الأمة إلا ويذكر معه الدواء وتارة يحدد المكان والزمن والعدد ، فهذه التفاصيل الدقيقة لا يمكن لأي علم بشري أن يدلي بها .

خامساً : دراسة المستقبل ورسم أبعاده في الحديث الشريف يتضمن الدعوة إلى العمل بعيدا عن الفتور، والأمل بدل اليأس، والوحدة بدل التفرق والشتات ، فمثلا عن ذكر معركة تنتظر الأمة لا يذكر النتائج القطعية أحيانا وذلك دافع للأمة إلى إعداد العدة وترقب الفوز والانتصار بدل اليأس والانهزام .[١]

لمبحث الثاني

التخطيط الاقتصادي

التخطيط: الإعداد لمواجهة تحديات انجاز العمل في المستقبل ولا يترك تحت رحمة المفاجآت، بل نأخذ في الاعتبار توقعات المستقبل والإمكانيات المتاحة حالاً ومستقبلاً وهو ما يجلى في قوله تعالى (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) [الأنفال : ٦٠] [٢]

وفي تعريف آخر: التخطيط: وضع مجموعة من الافتراضات حول الوضع في المستقبل ثم وضع خطة تبين الأهداف المطلوب الوصول إليها خلال فترة محددة مع تقدير الاحتياجات المادية والبشرية لتحقيق هذه الأهداف بفاعلية.[٣]

---

(١) – ينظر : استشراف المستقبل ، للدكتور بشار الفيضي : ص ٧ . ٨ .

(٢) –: مقدمة في الادارة الاسلامية للدكتور احمد بن داود المزجاجي: ص ١٣٣

(٣) – ثلاثون وصية ووصية لتكون قائدا ناجحا – (١ / ٤٤)

و التخطيط في المفهوم القرآني هو الاستعداد في الحاضر لما يواجه الإنسان في عمله أو حياته في المستقبل، وعلى هذا فإن الإداري المسلم يكون قد عرف التخطيط لأن الله تبارك وتعالى قد وجه إلى ذلك في آيات كثيرة.(١) قال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} [القصص: ٧٧]. إنه توجيه رباني للتخطيط في هذه الدنيا لمقابلة مصير الآخرة .

وقال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ..} [الأنفال: ٦٠]

يقول الدكتور عبد الرحمن الضحيان: (هذه الآية دعوة للإدارة الإسلامية بالعمل والتخطيط والاستعداد بقوة لمواجهة أمر مستقبلي قد يحدث لدار الإسلام وأمته، والقوة هنا تفهم بمفهوم العصر، فقد تفهم بالقوة البدنية، وذلك ببناء الرجال الأشداء، الأقوياء في إيمانهم وأبدانهم وقوة السلاح بكل أنواعه، وحسب ما تخرجه المصانع من أنواع الأسلحة حتى القوة والطاقة الذرية وذلك ببناء المصانع النووية الإسلامية وحمايتها من ضرب الأعداء لها، وذلك كله لإرهاب عدو الله وأعداء الإنسانية، وحماية دار الإسلام من الأعداء، كما في آية {وَأَعِدُّوا لَهُمْ}، مفهوم التخطيط الطويل الأجل الذي يجب أن تأخذ به الدولة الإسلامية وإدارتها الحكيمة حتى تحمي شوكة وقوة الإسلام)(٢)

إن دعامتي التخطيط: التنبؤ، والأهداف: و التنبؤ :استشراف المستقبل.

وقد ضرب لنا القرآن الكريم أمثلة كثيرة توضح التخطيط وأهميته في حياة الأمة ، منها مثلا: التخطيط السليم الذي قام على أسس منطقية فأمكن بذلك تلافي مجاعة كانت تهدد الناس جميعا بالهلاك كما جاء في سورة يوسف عليه السلام– فبسبب التخطيط السليم الذي قام به يوسف عليه السلام وهو أمين على الخزائن – وذلك حين فسر الرؤيا التي جاءت على لسان ملك مصر في قوله تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاَتٍ خُضْرٍ} [يوسف ٤٣]

و سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – معلم بارز في جانب التخطيط وإحكام الإدارة ودقة التنظيم في كل مراحل الدعوة وعلى مختلف الجوانب .

فإذا نظرنا مثلا إلى الهجرة النبوية نجد أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – وضع لها خطة احتوت على هذه العناصر: تحديد الهدف، تنظيم الوسائل، رسم أسلوب التنفيذ، محاولة التنبؤ بالمستقبل.

---

(١) – فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم – (١ / ٣٢٤)

(٢) – انظر: الإدارة في الإسلام نقلا لاعن فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم – (١ / ٣٢٦)

إن تخطيط الرسول – صلى الله عليه وسلم – للهجرة النبوية المباركة دليل واضح على أن التخطيط ضروري لمزاولة أي نشاط بشري مهما يكن نوعه، يستوي في ذلك أن يكون القائم به فردا أو جماعة، وأن يستهدف شأنا من شئون السلم أو في شئون الحرب، وإذا كان التخطيط – اصطلاحا – من مستحدثات العصر فإنه معنى يضرب بجذوره في أعماق القدم، قد اقترن بحياة الفرد وحياة المجتمع منذ كان الإنسان على الأرض، فقد شاء الله[١].

ولا يوجد مجتمع من المجتمعات البشرية في أي مرحلة كانت في التأريخ الإنساني إلا ولجأ إلى عملية التخطيط أفردا أو جماعات حتى وان أخذت شكلا بدائياً ، فماذا يمنع المجتمعات الإسلامية على مر عصورها الزاهرة من أن تمارس التخطيط ؟ وهل يمكن لدولة إسلامية أن تبسط نفوذها شرقاً إلى أسوار الصين وغرباً إلى جنوب فرنسا دون ممارسة عملية التخطيط.[٢]

وقد شمل التخطيط جميع جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولنا ان نستعرض شيء عن التخطيط الاجتماعي و الاقتصادي الذي استطاع بموجبه المصطفى صلى الله عليه وسلم تجاوز كثير من المحن الاقتصادية التي واجهت الأمة آنذاك بل استطاع ان ينتقل بالامة من مرحلة حرجة وصعبة الى مرحة متقدمة ادت فيما بعد الى الازدهار الحضاري الاقتصادي على مستوى الافراد والامة سواء .

ففي اطار التخطيط للتنمية الاجتماعية كانت هنالك صور عديدة لكل صورة آثارها الكبيرة على مستوى الامة آنذاك وفيما بعد ومن هذه الصور على سبيل المثال لا الحصر..

١- عملية الإحصاء:

عن حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : أحصوا لي كم يلفظ الإسلام قال فقلنا يا رسول الله صلى الله عليه و سلم أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة ؟ قال :(إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا)قال فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلي إلا سرا.[٣] ومعلوم ما للإحصاء في عالم اليوم من أهمية عظمى من التعرف على الإمكانيات والقوة الحقيقية من العدد البشري والقوة الممكنة لمجابهة التحديات وما يحتاجه هذا العدد من الإمكانيات مثلاً من حيث السكن أو الطعام أو تهيئة فرص التعليم الى غير ذلك وأن أي قرار مهم لا يمكن أن يصدر من غير إحصاء قبله .

(١) – فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم – (١ / ٣٣٧)

(٢) – مقدمة في الادارة الاسلامية للدكتور احمد بن داود المزجاجي:ص ١٣٤

(٣) – صحيح مسلم – (١ / ١٣١)

٢- **تنظيم النسل:** عملية تنظيمية تعالج مشكلة معينة تؤدى بأسلوب سهل وتدبير محكم نستطيع من خلالها التغلب على بعض الصعوبات التي تواجه تكوين وبناء الأسرة والمجتمع ، وكانت معلومة عند العرب آنذاك وقد أقرها الإسلام بضوابط من غير إخلال بالسنة الكونية من التكاثر والإنجاب.. عن جابر قال كنا نعزل على عهد النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل[١]

..إن الإسلام يرغب في كثرة النسل ،إذ أن ذلك مظهر من مظاهر القوة والمنعة بالنسبة للأمم والشعوب. " وإنما العزة للكاثر ". ويجعل ذلك من أسباب مشروعية الزواج: " تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة "[٢]. إلا أن الإسلام مع ذلك لايمنع في الظروف الخاصة من تحديد النسل باتخاذ دواء يمنع من الحمل، أو بأي وسيلة أخرى من وسائل أنجع. فيباح التحديد في حالة ما إذا كان الرجل معيلا ،لايستطيع القيام على تربية أبنائه التربية الصحيحة. وكذلك إذا كانت المرأة ضعيفة، أو كانت موصولة الحمل، أو كان الرجل فقيرا.ففي مثل هذه الحالات يباح تحديد النسل بل إن بعض العلماء رأى أن التحديد في هذه الحالات لا يكون مباحا فقط، بل يكون مندوبا إليه. وألحق الإمام الغزالي بهذه الحالات حالة ما إذا خافت المرأة على جمالها، فمن حق الزوجين في هذه الحالة أن يمنعا النسل.و ذهب كثير من أهل العلم إلى إباحته مطلقا[٣]. سواء تم ذلك بطريق العزل الذي لم ينه الرسول صلى الله عليه وسلم عن فعله أو الغيل الذي هم الرسول صلى الله عليه وسلم بالنهي عنه ولم يفعل، أو تعاطي المرأة ما يقطع الحبل من أصله.

٣-المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

من صور التخطيط الناجحة التدابير المؤقتة التي هدفت إلى ردم الفجوة بين المهاجرين والأنصار لتحقيق التوازن الاجتماعي. ... قال ابن القيم: ثم آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلا، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، ويتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام، إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله عز وجل: وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ [الأنفال: ٧٥] رد التوارث، دون عقد الأخوة. وقد قيل إنه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية ... والثبت الأول، والمهاجرون كانوا مستغنين بأخوة الإسلام وأخوة الدار وقرابة النسب عن عقد مؤاخاة بخلاف المهاجرين مع الأنصار [٤].

---

(١) - صحيح البخاري - (٥ / ١٩٩٨)

(٢) - سنن أبي داود - (١ / ٦٢٥)

(٣) - فقه السنة - (٢ /١٩٣- ١٩٤)

(٤) - زاد المعاد - (٣ / ٥٥)

ومعنى هذا الإخاء- كما قال محمد الغزالي- أن تذوب عصبيات الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام، وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتقدم أحد أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه. وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأخوة عقدا نافذا، لا لفظا فارغا، وعملا يرتبط بالدماء والأموال، لا تحية تثرثر بها الألسنة ولا يقوم لها أثر.(١)

وقد ربطت هذه العملية المهاجر والأنصاري في النفقة و الميراث، حتى لكأن الإخوة بينهما أخوة في النسب. وواضح أن هذا الإجراء كان المهاجرون هم المستفيدين بدرجة رئيسية من ثمراته المادية واستطاعت هذه الإخوة من تجاوز محنة اقتصادية ونفسية واجتماعية تعرض لها المسلمون بعد هجرتهم من أوطانهم وتركهم لتجارتهم وأموالهم ومساكنهم ومعلوم ما لذلك من أثر كبير على مسيرة الفرد في حياته العامة وكم لها من التأثير النفسي ،لا كن براعة التخطيط والإعداد النبوي استطاع تجاوز هذه المشكلة وتحويلها إلى منحة وإكرام وبناء فعال محكم لروابط الإخوة لذلك المجتمع وتلك من معالم القيادة الناجحة الفعالة التي تحول المشكلة الطارئة إلى بناء وايجابية.

٤-النهي عن المزارعة .

ويدل له ما أخرجه مسلم من حديث جابر قال : { كان لرجال من الأنصار فضول أرض وكانوا يكرونها بالثلث والربع فقال النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه فإن أبى فليمسكها } وهذا كما نهوا عن ادخار لحوم الأضحية ليتصدقوا بذلك ثم بعد توسع حال المسلمين زال الاحتياج فأبيح لهم المزارعة وتصرف المالك في ملكه بما شاء من إجارة وغيرها ، ويدل على ذلك ما وقع من المزارعة في عهده صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء من بعده ومن البعيد غفلتهم عن النهي وترك إشاعة رافع له في هذه المدة(٢) وتخيير الأنصاري صاحب الارض بين أمرين: إما أن يتولى زراعتها بنفسه، أو أن يمنحها أخاه المهاجر دون مشاركته في النماء، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها، فإن لم يفعل فليمسك أرضه".

٥-فيء بني النظير.

وتدبير ثالث هو صرف فيء بني النضير للمهاجرين دون الأنصار بعد استرضائهم، إذ لم يُعْطَ أحد من الأنصار منه شيئا إلا رجلين كان بهما حاجة.كما جاء في سنن أبي داود ..فكان نخل بني النضير لرسول الله صلى الله عليه و سلم خاصة أعطاه الله إياها وخصه بها فقال تعالى

(١) - [فقه السيرة للغزالي ص: ١٩٠]

(٢) - سبل السلام - (٤ / ٣١٦-٣١٧)

{ وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب }[الحشر : ٦] يقول بغير قتال فأعطى النبي صلى الله عليه و سلم أكثرها للمهاجرين وقسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الأنصار كانا ذوي حاجة لم يقسم لأحد من الأنصار غيرهما وبقي منها صدقة رسول الله صلى الله عليه و سلم التي في أيدي بني فاطمة رضي الله عنها [١]. وهذا العطاء مباح في الإسلام للإمام رئيس الدولة أن يتصرف في توزيع الأموال على وجه يحقق التوازن الاقتصادي بين الطبقات ولو أدى ذلك إلى أن يخص ببعض المال طبقة دون أخرى . وقد سن هذه السنة الحكيمة وأنفذها عمليا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوحي من الله عز وجل فقد منح الرسول جميع أموال الفيئ من بني النضير للمهاجرين خاصة ، ولرجلين فقيرين من الأنصار ، ليقرب بذلك بين ثروات المهاجرين وثروات الأنصار ، أي : مقدرة هؤلاء ومقدرة هؤلاء الحياتية ليحقق شيئًا من التوازن في ملكية الأموال بين هذين الفريقين اللذين كان يتألف منهما أول مجتمع إسلامي .[٢] وواضح أن هذه التشريعات كانت تشريعات مؤقتة، إذ نسخ التوارث بين المهاجرين و الأنصار، و عادت المزارعة من بعد إلى الإباحة كما كانت أول الأمر، و قسم الفيء في الفتوح اللاحقة على مقتضى القواعد الشرعية المقررة.

٦-سوق المسلمين

اهتم صلى الله عليه وسلم بدراسة الأوضاع الاقتصادية في المدينة، فرأى أن القوة الاقتصادية بيد اليهود، وأنهم يملكون السوق التجارية في المدينة وأموالها، ويتحكمون في الأسعار والسلع ويحتكرونها، ويستغلون حاجة الناس، فكان لا بد من بناء سوق للمسلمين لينافسوا اليهود على مصادر الثروة والاقتصاد في المدينة، وتظهر فيها آداب الإسلام وأخلاقه الرفيعة في عالم التجارة، فحدد صلى الله عليه وسلم مكانا للسوق في غرب المسجد النبوي وخطه برجله[٣]، وقال: «هذا سوقكم فلا ينتقصن ولا يضربن عليه خراج»[٤]. وهي صورة جميلة من التخطيط فكانت لحماية المستهلك، فإعفاء المواطن من الضرائب مكسب في حد ذاته.

٧-النهي عن بيع الحاضر للبادي.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (لا تلقوا الركبان ولا يبيع حاضر لباد) . قال فقلت لابن عباس ما قوله (لا يبيع حاضر لباد) . قال لا يكون له

---

(١) – سنن أبي داود – (٢ / ١٧١) .

(٢) – ينظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي – (٢ / ٧٠٢٢) .

(٣) –[السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ص: ٣٨٨] .

(٤) – سنن ابن ماجه – (٢ / ٧٥١) .

سمسارا[١] .وفى رواية لا يبع حاضر لباد دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض وفى رواية عن أنس نهينا أن يبيع حاضر لباد وإن كان أخاه أو أباه هذه الأحاديث تتضمن تحريم بيع الحاضر للبادى وبه قال الشافعى والأكثرون قال أصحابنا والمراد به أن يقدم غريب من البادية أو من بلد آخر بمتاع تعم الحاجة إليه ليبيعه بسعر يومه فيقول له البلدى اتركه عندى لأبيعه على التدريج بأعلى[٢].

و تلقي الركبان فهو أن يقدم ركب بتجارة فيتلقاه رجل قبل أن يدخلوا البلد ، ويعرفوا السعر ، فيشتري منهم بأرخص من سعر البلد وهذا مظنة ضرر بالبائع ، لأنه إن نزل بالسوق كان أغلى له ولذلك كان له الخيار إذا عثر على الضرر ، وضرر بالعامة لأنه توجد في تلك التجارة حق أهل البلد جميعاً ، والمصلحة المدنية تقتضي أن يقدم الأحوج فالأحوج ، فإن استووا سوى بينهم أو أقرع،فاستئثار واحد منهم بالتلقي نوع من الظلم ، وليس لهم الخيار لأنه لم يفسد عليهم مالهم ، وإنما منع ما كانوا يرجونه .

والنهي عن بيع الحاضر للبادي :أن يحمل البدوي متاعه إلى البلد يريد أن يبيعه بسعر يومه ، فيأتيه الحاضر ، فيقول : خل متاعك عندي حتى أبيعه على المهلة بثمن غال ، ولو باع البادي بنفسه لأرخص ، ونفع البلدين ، وانتفع هو أيضاً ، فإن انتفاع التجار يكون بوجهين : أن يبيعوا بثمن غال بالمهلة على من يحتاج إلى الشيء أشد حاجة . فيستقل في جنبها ما يبذل ، وأن يبيعوا بربح يسير ، ثم يأتوا بتجارة أخرى عن قريب ، فيربحوا أيضاً وهلم جراً ، وهذا الانتفاع أوفق بالمصلحة المدنية وأكثر بركة ، وقال صلى اللّه عليه وسلم : « من احتكر فهو خاطئ » [٣]. وحبس المتاع مع حاجة أهل البلد إليه لمجرد طلب الغلاء وزيادة الثمن إضرار بهم بتوقع نفع ما وهو سوء انتظام المدينة [٤]. و هذا النهي إنما يصب في مصلحة المستهلك، ففيه دفع للضرر عنه، و صيانته عمن يخدعه، و تجنيبه رفع الأسعار التي يأتي بها التاجر الوسيط.

---

(١) – صحيح البخاري– – (٢ / ٧٥٧) والسَّماسِرَة : جمع سِمْسار وهو القَيِّم بالأمْر الحافظ له وهو في البَيْع اسمٌ للذي يَدخل بين البائع والمشتري مُتَوَسِّطا لإمْضاءِ البَيعِ .النهاية في غريب الأثر – (٢ / ٩٩٥)

(٢) – شرح النووي على مسلم – (١٠ / ١٦٤)

(٣) – صحيح مسلم – (٣ / ١٢٢٧)

(٤) – حجة الله البالغة – (٢ / ١٣١–١٣٢)

المبحث الثالث

الاستشراف النبوي في الجانب الاقتصادي

١- كثرة الموارد الاقتصادية

١-عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال : ((بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ فَبَيْنَا أنا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأرض فَوُضِعَتْ في يَدِي))[١]

٢-عن أبي هُرَيْرَةَ قال : قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : ((تقيء الأرض أَفْلَاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ من الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فيقول في هذا قَتَلْتُ وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فيقول في هذا قَطَعْتُ رَحِمِي وَيَجِيءُ السَّارِقُ فيقول في هذا قُطِعَتْ يَدِي ثُمَّ يَدَعُونَهُ فلا يَأْخُذُونَ منه شيئا)) [٢].

٣-عن ثَوْبَانَ قال : قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : ((إِنَّ اللَّهَ زَوَى لي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا ما زوى لي منها وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عليهم عَدُوًّا من سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَإِنَّ رَبِّي قال يا محمد إني إذا قَضَيْتُ قَضَاءً فإنه لَا يُرَدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عليهم عَدُوًّا من سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ عليهم من بِأَقْطَارِهَا أو قال من بين أَقْطَارِهَا حتى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا))[٣] .

بعض معاني ألفاظ الأحاديث

كنوز : الكنز اسم للمال إذا أحرزه في وعاء ، وقيل الكنز المال المدفون ، وتسمي العرب كل كثير مجموع يتنافس فيه كنزا [٤].

الافلاذ : جمع فلذة وهي القطعة من اللحم تقطع طولا وضرب افلاذ الكبد مثلا للكنوز أي تخرج الأرض كنوزها المدفونة تحت الأرض وهو استعارة ومثله قوله تعالى : [وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا] سورة الزلزلة:الآية (٢)وسمي في الأرض قطعا تشبيها تمثيلياً [٥]، ويسمى ما في الأرض كبدا تشبيها بالكبد التي في بطن البعير ؛ لأنها أحب ما هو مخبأ فيها ، كما إن الكبد أطيب ما في بطن الجزور وأحبه إلى العرب .

الاسطوانة : وهي السارية والعمود وشبهه بالإسطوانة لعظمته وكثرته .[٦]

---

(١) – صحيح البخاري : ٣ / ١٠٨٧

(٢) – صحيح مسلم : ٢ / ٧٠١

(٣) – صحيح مسلم : ٤ / ٢٢١٥ ،

(٤) – لسان العرب : ٣ / ٥٠٢

(٥) – لسان العرب : ٣ / ٥٠٢ ، وغريب الحديث لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري٢ / ٣٧٠ .

(٦) – شرح النووي لصحيح مسلم : ٧ / ٩٨ .

الشرح

عند النظر بإمعان إلى هذه الأحاديث مع تتبع بعض مفرداتها نجد الإشارة الواضحة إلى وقفتين ينبغي الوقوف عندهما :

١-كثرة الخيرات الموجودة على سطح الأرض والمدخرة فيها .

٢-الفتوحات الخارجية للأمة الإسلامية وما تعود به من خيرات لصالح الأمة مثل ذخائر كسرى وقيصر وكثير من البلاد التي فتحت بعد البعثة النبوية .

وعبارات الأحاديث واضحة في بيان ضخامة وكثرة الموارد الاقتصادية المتمثلة بالكنوز المدخرة فيها ،فمثلاً (تقيء الأرض أَفْلاَذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ من الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ) و (وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ) وفي رواية ابن ماجه (وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَصْفَرَ أو الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ يَعْنِي الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ)[١]، وقوله من الذهب والفضة لا يعني الحصر والتحديد بل هو لمجمل الحال كما ذكر القاضي عياض رحمه الله في شرحه للحديث ، وان الأرض تلقي من بطنها ما فيه الكنوز وقيل ما وسح فيها من العروق المعدنية ويدل عليه قوله أمثال الاسطوان وتشبهها بافلاذ الكبد هيئة وشكلا فانه قطع الكبد المقطوع طولا .[٢].

لذلك نلاحظ إن دلالات الأحاديث واضحة في الإشارة إلى كثرة الأموال المدخرة في باطن الأرض ومنها النفط (البترول) الذي لم يعرف آنذاك كذلك إلى المعادن والموارد الثمينة العظيمة الفائدة وكل ما يمكن أن يكتشف من ثروات وطاقات مدخرة في باطن الأرض إلى قيام الساعة .

وأما الكنزان الأحمر والأبيض فهما الذهب والفضة أو تعبير عن خزائن كسرى وقيصر[٣] حيث إن العملة التي يتداولونها اقرب إلى هذين اللونين ولربما أشارت إلى ملك الشام وهو الأحمر وملك فارس وهو الأبيض .[٤]

والحديث يشير إلى الأموال والثروات المدخرة في باطن الأرض التي أعطيت للأمة وهي وحي من الله أن أمته ستملك الأرض ويتسع سلطانها ويظهر دينها.[٥]

والمفاتيح إذا رؤيت في المنام قال أهل التعبير : المفتاح :مال وعز وسلطان فمن رأى انه فتح باباً بمفتاح فانه يظفر بحاجته بمعونة من له بأس ، وإن رأى انه بيده مفاتيح فانه يصيب سلطانا عظيما[٦].

---

(١) – سنن ابن ماجه – (٢ / ١٣٠٤) وقال الشيخ الألباني : صحيح

(٢) – تحفة الاحوذي : ٦ / ٣٧٥ .

(٣) – تحفة الاحوذي : ٦ / ٣٧٥ .

(٤) – ينظر : عون المعبود : ١١ / ٢١٧ .

(٥) – حاشية السندي على النسائي : ٦ / ٤ .

(٦) – فتح الباري : ١٢ / ٤٠١ .

والخزينة والمخزن :ما يخزن فيه الشيء ويدخر فيه الأشياء الثمينة من نقود ومصوغات وعقود مهمة وإعطاء المفتاح للنبي ﷺ إشارة . والله اعلم . إن هذه الأمة أعطيت وستملك أفضل وأغلى الثروات الموجودة في الأرض وهذا ما نجده اليوم عندما ننظر

إلى الخزائن والثروات في امتنا غير أنها لم تستثمر بالشكل الصحيح وفق المنهج الرباني . لقد أودع الله سبحانه تعالى من الطاقات المادية في هذه الأمة ما لم يودع في غيرها ومنها النفط حيث يضم العالم الإسلامي ٧٠% من الاحتياطي العالمي ويسيطر على ٤٠% من الإنتاج العالمي للقصدير و ٢٥ % من إنتاج الفوسفات و٢٠% من الكروم فضلا عن احتوائه على معادن مهمة مثل الكبريت والبوتاس والحديد والنحاس والرصاص والفحم والمنغنيز والزنك ، ويتوفر في العالم الإسلامي مقومات زراعية كبيرة تتمثل في التنوع المناخي حيث يضم العالم الإسلامي عدة أنواع من الأقاليم المناخية منها : المناخ المداري الرطب والمناخ الموسمي والمناخ الاستوائي والمناخ الصحراوي .

إن اختلاف هذه الصفات المناخية يهيئ فرصة لإيجاد تكامل في إنتاج محاصيل زراعية متنوعة تمكن العالم الإسلامي، أن يتكامل مع بعضه الآخر في سد حاجته من المحاصيل الزراعية الغذائية والحقلية والصناعية ، وكذلك الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي، حيث يشرف على عدد من المحيطات والبحار وهي : المحيطين الأطلسي والهندي والبحار ممثلة بكل من : المتوسط والأحمر وبحر العرب والخليجان : العربي وعمان والبنغال وغيانا ، ويمتد العالم الإسلامي على مساحة متصلة مما يشكل أراضي يمكن أن تستثمر على أفضل وجه لغرض التكامل الاقتصادي والتعاون الاستراتيجي [١].وتتضح أهمية هذه الإمكانيات الهائلة والطاقات المتوفرة في العالم الإسلامي خاصة هذا الموقع الفريد الذي يحتله في قلب العالم إذ يربط بين القارات القديمة الثلاث آسيا وأفريقيا وأوربا بطرق المواصلات البحرية والجوية مع قارات العالم الجديد فيكاد لا يوجد خط بحري أو جوي في العالم إلا ويمر في العالم الإسلامي فهو ملتقى طرق العالم وتجارته وانتقالات مواد الطاقة كالبترول والمواد الخام التي هي عصب الصناعات الحديثة في الدول المتقدمة ، وهذه الأهمية القصوى لهذا العالم من حيث الموقع والطرق ووفرة الخامات هي التي جعلته مطمعةً للدول الكبرى ومجال صراعاتها وهدف سيطرتها ، والذي نأمل أن نكون قد وصلنا من القوة والوعي والإدراك ما يجعلنا نضع حدا لكل تلك المطامع . [٢]

(١) – ينظر : العداء الغربي للعالم الإسلامي للأستاذ الدكتور صبري فارس الهيتي : ص ١٠ . ١٥ .

(٢) – ينظر : العالم الإسلامي والمكائد الدولية : ص ٢٠ .

ومع كل هذه الإمكانيات والثروات التي أكرمت بها الأمة الإسلامية لابد من إقرار ان هنالك ضعفا كبيراً في حسن الإدارة والاستثمار للأموال في عموم العالم الإسلامي والعربي لأسباب كثيرة ...في تقرير لأحد الصحف ..لماذا يجني الأمريكان أكثر ملياردرات العالم ومن ثم أوربا؟ في إحصائية أخيرة ..من بين مائتين شخصية رجال أعمال على مستوى ملياردير حسب ما ورد في مجلة فوربس للمال والأعمال لعام ١٩٩٩م وردت ٧٠ شخصية أمريكية ومن ثم أوربا سجلت ٥٢ ملياردياً ثم آسيا ٤٤ ملياردير ،وسجل العالم العربي سبع ملياردرات فقط .اثنان منهم فقط الذين صنعوا ثروتهم بأنفسهم إذ بلوا من لا شيء.وورد في القائمة تسع نساء على مستوى ملياردرة ولا واحدة عربية او مسلمة . خمس من التسع أمريكيات .هذا على مستوى الملياردير أي الذي بلغت ثروته أكثر من ألف مليون دولار ولا ندري عن المليونيرات والذين تكون لهم فرصة أكثر في تلك البلدان. الذي نريد أن نقوله أن هناك خللاً في العقلية العربية تجاه الغنى والتعامل بالأموال .أولها أن هناك قناعات بأن الغنى سيء.وهذه القناعة من أخيب القناعات ويسلكها الفاشلون دائماً ولا هي من ديننا ولا من تراثنا ولا من تقاليدنا ،وفي الحديث الصحيح (إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي)[١] وفي الحديث الآخر (المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف)[٢] والله سبحانه وتعالى يقول (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) [الأنفال : ٦٠]والمال قوة.والخلل الثاني أن اغلب الأغنياء في بلداننا بخلاء فهم يعيشون لأنفسهم ويموتون على أنفسهم ،لا تستفيد منهم الأمة إلا كما تستفيد الهابرة من ماء البحر[٣].

بعض الدروس والعبر المستفادة من الإخبار النبوي

١. أهمية المال في حياة الأمة الإسلامية فهو عصب الحياة وأحد أعظم مرتكزات قيام الأمة فبالمال تقام الأمم وتصنع القوة ويُعز رجالها ويحفظ أمنها واستقرارها .
٢. دعوة الأمة لاستثمار هذه الثروات بأفضل الأساليب من عهد النبوة إلى يومنا واستخدامها لصالح بناء الأمة في كافة مستوياتها العلمية والتربوية والعسكرية والعمرانية ، ويتطلب ذلك نهضة علمية ومواكبة العصر بتقدمه العلمي والتقني ومن خلاله يكون الاستثمار الأفضل ، وهذا ما نعيشه اليوم فمن غير التقنية (التكنولوجيا) الحديثة كيف نستثمر طاقاتنا الاقتصادية اليوم ونستغني عن غيرنا وهذا من باب الواجب اليوم فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

---

(١) – صحيح مسلم–ن – (٤ / ٢٢٧٧)

(٢) – صحيح مسلم–ن – (٤ / ٢٠٥٢)

(٣) –ينظر: كيف تخطط لحياتك للدكتور صلاح صالح الراشد،: ص ٦٧–٦٨.

٣. تذكير الأمة بالثروات العظيمة التي أكرمها الله بها لتكون على بينة من أمرها وتستعد لمكائد أعداءها وتعد العدة اللازمة في ذلك ؛ لأن البلاد الغنية بالثروات تكون أكثر عرضة لأطماع الأعداء وتحدياتهم في سبيل الاستيلاء على هذه الطاقات العظيمة فالصراع من اجل المال سنة قائمة منذ الأزل والى قيام الساعة

٤. الشعور بالعزة والقوة والاستغناء عن الآخرين الذي يمنح أبناء الأمة قوة في شخصيتها وثقة اكبر في نجاحها وتقدمها وانتصارها على أعداءها .

٥. تذكير الأمة بالمستقبل العظيم الذي ينتظرها والخيرات والثروات التي تحتويها وتأتيها من الأساليب العظيمة في الدعوة الإسلامية والتأثير في الآخرين وانجذابهم نحو الإسلام لاسيما الأغنياء والمترفين وأصحاب النفوذ والوجهاء في المجتمع لما للمال من اثر ومكانة في نفوس الناس ولعل هذا الإخبار عن الثروات في الحديث إحدى أسباب إسلام الصحابي الجليل عدي بن حاتم ﷺ.

٦. التحذير من الفتن والانقسامات والصراعات الداخلية بين أبناء الأمة وإنها تؤدي إلى ضياع هذه الكنوز العظيمة وعدم الانتفاع بها كما جاء في نهاية الحديث .

٧. أسلوب التمثيل والتشبيه الجميل الذي استخدمه النبي ﷺ حيث يفيد العموم ويشمل كافة الثروات الاقتصادية اليوم ،ولم تكن اغلب الثروات الاقتصادية اليوم معلومة لدى الناس آنذاك .

٢-الرخاء الاقتصادي

١-حَارِثَةَ بن وَهْبٍ قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((تَصَدَّقُوا فإنه يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُلُ بِصَدَقَتِهِ فلا يَجِدُ من يَقْبَلُهَا يقول الرَّجُلُ لو جِئْتَ بها بِالْأَمْسِ لَقَبِلْتُهَا فَأَمَّا الْيَوْمَ فلا حَاجَةَ لي بها)) (١)

٢- هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يقول قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : ((وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابن مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حتى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ)) (٢).

٣-عن عَدِيِّ بن حَاتِمٍ قال بَيْنَا أنا عِنْدَ النبي صلى الله عليه وسلم إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إليه الْفَاقَةَ ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا قَطْعَ السَّبِيلِ فقال : ((يا عَدِيُّ هل رَأَيْتَ الْحِيرَةَ قلت لم أَرَهَا وقد أُنْبِئْتُ عنها قال فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ من الْحِيرَةِ حتى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إلا

(١) – صحيح البخاري : ٣ / ٥١٢

(٢) – صحيح البخاري : ٢ / ٧٧٤

اللَّهَ قلت فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قد سَعَّرُوا الْبِلَادَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى قلت كِسْرَى بن هُرْمُزَ قال كِسْرَى بن هُرْمُزَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ من ذَهَبٍ أو فِضَّةٍ يَطْلُبُ من يَقْبَلُهُ منه فلا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ منه وَلَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ أحدكم يوم يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ له فيقولن أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ فيقول بَلَى فيقول أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وولدا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ فيقول بَلَى فَيَنْظُرُ عن يَمِينِهِ فلا يَرَى إلا جَهَنَّمَ وَيَنْظُرُ عن يَسَارِهِ فلا يَرَى إلا جَهَنَّمَ قال عَدِيٌّ سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بشق تَمْرَةٍ فَمَنْ لم يَجِدْ شق تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ قال عَدِيٌّ فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ من الْحِيرَةِ حتى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إلا اللَّهَ وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بن هُرْمُزَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ ما قال النبي أبو الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ)) .[١]

٣-عن خولة بنت قيس أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض)[٢]

٤-عن طلحة (.....الحديث ..توشكون أن تدركوا ومن أدرك ذلك منكم أن يراح عليكم بالجفان وتلبسون مثل أستار الكعبة...)[٣]

بعض معاني ألفاظ الأحاديث

١- يفيض فاض السيل يفيض فيضاً ، كثر وسال من شقة الوادي ، وفاض الإناء فيضاً : امتلأ .[٤]

٢- الظعينة : أصل الظعينة، الراحلة التي يرحل ويظعن عليها وقيل الظعينة المرأة في الهودج ثم قيل للهودج بلا امرأة وللمرأة بلا هودج ظعينة [٥]

٣- طيئ: طيء قبيلة مشهورة منها عدى بن حاتم وبلادهم ما بين العراق والحجاز وكانوا يقطعون الطريق على من مر عليهم بغير جوار ورخصة وأمان منهم آنذاك أيام البعثة[٦]

٤- الدعار : هو الشاطر الخبيث المفسد والمراد قطاع الطريق .[٧]

---

(١) – صحيح البخاري : ٣ / ١٣١٦ .

(٢) – صحيح ابن حبان بتحقيق الأرناؤوط – (١٥ / ١١٢)و قال الشيخ شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح.

(٣) – مسند أحمد بن حنبل– (٣ / ٤٨٧) :تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير داود بن أبي هند وأبي حرب – وهو ابن أبي الأسود – فمن رجال مسلم.

(٤) – المصباح المنير : ٢ / ٤٨٥ .

(٥) – النهاية في غريب الاثر ١٥٧/٣.

(٦) – ينظر : عون المعبود : ٧ / ٢٢٢ .

(٧) – ينظر: لسان العرب ٢٨٦/٤والنهاية في غريب الأثر ١١٩/٢وعون المعبود : ٧ / ٢٢٢ .

٥- المطيطاء: مِشْيةٌ فيها تَبَخْتُرٌ ومدُّ اليدين[١].

٦- والجَفْنَةُ التي للطَّعامِ وجمعُها الجِفانُ[٢]

الشرح

أخبرت هذه الأحاديث النبوية بكثرة الأموال واستغناء الناس عنها حتى يهم رب المال أن لا يجد من يقبلها وللعلماء وقفات مع هذه الأحاديث منها :

١. إن الزمان المقصود هو زمان سيدنا عمر بن عبد العزيز ﷺ ؛ لأن النبي ﷺ بشر بوقوعه في حديث سيدنا عدي بن حاتم ﷺ وفيه ((وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ ما قال النبي أبو الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ ذهبا يطلب من يقبلها فلا يجد))[٣] وعن يعقوب بن سفيان انه قال : (لا والله ما مات عمر بن عبد العزيز حتى جعل جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء فما يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيهم فلا يجد فيرجع غنى عمر بن عبد العزيز الناس)[٤].

٢. إن الزمان المقصود هو زمن نزول سيدنا عيسى بن مريم لقوله ﷺ :((لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ بن مَرْيَمَ – وفيه –فِيضَ الْمَالُ حتى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ))[٥] وقد رجح ابن حجر رحمه الله إن الزمان هو زمن عمر بن عبد العزيز رحمه الله (لان الذي رواه عدي ﷺ ثلاثة أشياء : امن الطريق والاستيلاء على كنوز كسرى وفقد من يقبل الصدقة من الفقراء ، فذكر عدي ﷺ أن الأولين وقعا وشاهدهما وأن الثالث سيقع فكان كذلك لكن بعد موت عدي ﷺ في زمن عمر بن عبد العزيز وسببه بسط عمر العدل وإيصال الحقوق لأهلها حتى استغنوا ، وأما فيض المال الذي يقع في زمن عيسى ﷺ فسببه كثرة المال وقلة الناس واستشعارهم بقيام الساعة)[٦].

---

(١) – النهاية في غريب الأثر – (٤ / ٧٣٥)

(٢) – كتاب العين – (٦ / ١٤٦)

(٣) – سبق تخريجة

(٤) – فتح الباري : ١٣ / ٨٣ .

(٥) – سبق تخريجة

(٦) – فتح الباري : ١٣ / ٨٣ .

٣. كثرة المال فقط وقد كان ذلك في زمن الصحابة ﷺ ومن ثم قيل فيه : ويكثر فيكم وقد وقع في حديث عوف بن مالك : ((اعْدُدْ سِتًّا بين يَدَيْ السَّاعَةِ موتى ثُمَّ . . . اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حتى يعطي الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا))[١].

٤. استفاضة الأموال وكثرتها حتى يطوف الرجل بالصدقة من الذهب ولا يجد من يقبلها كما في حديث أبي موسى الأشعري ﷺ : ((لَيَأْتِيَنَّ على الناس زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فيه بِالصَّدَقَةِ من الذَّهَبِ ثُمَّ لَا يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا))[٢] والحديث يشير إلى أن الرجل يتردد بصدقته بين الناس فلا يجد من يقبلها وكذلك يتضمن التنبيه على ما سوى الذهب ؛ لأنه إذا كان الذهب لا يقبله احد فكيف الظن بغيره ؟ فتحصل المبالغة في عدم قبول الصدقة بثلاثة أشياء : كونه يعرضها ، ويطوف بها ، وهي ذهب[٣].

وعند قراءة هذه الأحاديث التي تخبر بكثرة الأموال واستغناء الناس ، نجد إن هذه الأحاديث لم تقيد بزمن ما ، بل هي مطلقة باستثناء بعض الأحاديث التي ارتبطت بخروج المهدي أو عيسى ابن مريم عليهما السلام ، يمكن أن نقول إن تلك الأحاديث هي خاصة بتلك الفترة أو إن إحدى فترات الاستفاضة واستغناء الناس عن الأموال هي الفترة المصاحبة بخروج عيسى ابن مريم عليه السلام.

إن تخصيص هذه الأحاديث بآخر عصر للأمة يجعل الفائدة من هذه الثروات قليلة ولن تنتفع الأمة إلا بجزء يسير منها ، ومن ميزات السنة النبوية إنها لكل زمان وفضلها لجميع الأمة لمن أراد الانتفاع منها ، وإن كانت خاصة لجيل معين فما ذنب الأجيال القادمة أن لا تشملها البركة ويعمها الخير والازدهار والنمو الاقتصادي ، إن استطاعت أن تقدم من التضحية والعدل والإتباع ما قدمه ذلك الجيل ، بل إن تخصيص هذه الأحاديث بجيل واحد أو أكثر لن يحقق الهدف الأكبر من وجود هذه الثروات الكبيرة ومنحها للأمة من استثمار وإنجاح دورها الرئيسي على هذه الأرض .

لو تهيأت لهذه الأمة حكومة عادلة ضمن المنهج الإسلامي ، ما الذي يمنع من إعادة تلك الحياة من وفرة المال وقلة المحتاجين ، فما تحويه الأمة من ثروات اليوم أكثر مما كان في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فلا نحتاج إلا إلى أيادٍ مؤمنة متوضئة وقلوب صادقة تحكم بالدستور الرباني الذي اختاره الله لهذه الأمة ؛ لذا فان كثرة الفقراء اليوم وحاجة الأمة إلى الأموال ليس من قلة مواردها الاقتصادية بل في ضياعها وعدم استثمارها بيد أهلها وعدم احتكامها إلى منهج الله الخالد في التعامل مع اقتصاد الأمة الإسلامية .

---

(١) – صحيح البخاري : ٣ / ١١٥٩ .

(٢) – صحيح البخاري : ٢ / ١١٤ .

(٣) – ينظر : شرح النووي : ٧ / ٩٦ ، وفتح الباري : ٣ / ٢٨٢ .

بعض الدروس والعبر

١. تبشير الأمة بالغد المشرق الذي ينتظرها وما يحمله من خير وفرح وعز للأمة ، ومنه كثرة الأموال واستفاضتها وعدم احتياج الناس لها وانتشار ظاهرة استقدام العمالة الأجنبية و انتشار الخدم الأجانب في البيوتات الإسلامية للرفاهة و الخير الذي عم البلاد وهي حياة يتمناها كل مسلم يتطلع إلى مستقبل أفضل ، لأن المال عصب الحياة وأحد أسرار تقدمها ونهضتها وسعادتها.

٢. عدم قبول الصدقة وإن كانت ذهباً ، لا يدل فقط على عدم احتياج الناس واستغنائها فقط، بل يدل على علو النفس وترفعها واستغنائها وحسن تربيتها وذلك لكثرة وسائل الإصلاح ووجود المربين والدعاة الذين يرتقون بالأمة إلى أفضل مستوياتها ، وهذا أحد أعظم أركان النهضة للأمة المتمثل بالبناء الأخلاقي وصلاح النفوس ، وهي أصل صلاح المجتمع وتقدمه .

٣. تذكير الأمة بمستقبل عظيم من خلال وجود القيادات الإسلامية المخلصة العادلة السائرة وفق المنهج الرباني ، فلولا وجود هذه القيادات لما عمَّ النماء وكثر الخير وقلَّ الفقر .

٤. دعوة أبناء الأمة إلى المسارعة في الأعمال الصالحة وكثرة الإنفاق واستنهاض هممها في ذلك وعدم الانتظار خشية عدم وجود من يقبل الصدقة ، وذلك من أجمل أساليب الدعوة في استمالة القلوب واستنهاض الهمم في النفقة وكل أعمال الخير .

٥. تذكير الأمة بكثرة ثرواتها واستغنائها عن غيرها من الأمم وإنها بلد الطاقات والثروات ولولا كثرة أموالها لما كثر الأغنياء واستغنى الفقراء عن الصدقات .

٦. دعوة أبناء الأمة الإسلامية من أهل الخير والصلاح والتخصصات العلمية والكفاءات العالية إلى تصدر الأمور وتولي إداراتها والتعامل مع الثروات والموارد وفق المنهج الاقتصادي الإسلامي .

٧. ما تمر به الأمة اليوم من التردي الاقتصادي والتخلف العلمي والانحطاط الأخلاقي لاسيما في المجال الاقتصادي لا لقلة مواردها بل لفقدانها حسن الإدارة والتوجيه ووضع الأمور في محلها وبيد أهلها وفق المنهج الرباني .

٣-انتشار التجارة

عن الْحَسَنِ عن عَمْرِو بن تَغْلِبَ قال : قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : ((إِنَّ من أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَفْشُوَ الْمَالُ وَيَكْثُرَ وَتَفْشُوَ التِّجَارَةُ وَيَظْهَرَ الْعِلْمُ وَيَبِيعَ الرَّجُلُ الْبَيْعَ فَيَقُولَ لَا حتى

أَسْتَأْمِرَ تَاجِرَ بنى فُلَانٍ وَيُلْتَمَسَ في الْحَيِّ الْعَظِيمِ الْكَاتِبُ فلا يُوجَدُ))[١] والحديث من رواية الحسن عن عمرو بن تغلب والحسن مدلس ، وقد عنعن هنا ولكنه صرح بالتحديث عن عمرو بن تغلب في رواية الإمام احمد وقال عنها الشيخ شعيب الارناؤوط إسناده حسن[٢] .والحديث رواه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي .[٣] والحديث رجاله ثقات وإسناده متصل فالحديث إسناده صحيح والله اعلم .

بعض معاني ألفاظ الحديث

تفشو التجارة : يقال فشا خبره انتشر وذاع كذلك فشا فضله وعرفه ، وفشا الشيء إذا ظهر وهو عام في كل شيء ومنه إفشاء السر وتفشو التجارة ، يعني ظهورها وانتشارها. [٤]

الشرح

اخبرنا المصطفى ﷺ عن انتشار التجارة وكثرة أنواعها وتعدد طرقها وكثرة العاملين فيها حتى تشارك النساء الرجال ، عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : ((بين يدي السَّاعَةِ تَسْلِيمُ الْخَاصَّةِ وَتَفْشُو التِّجَارَةُ حتى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا على التِّجَارَةِ))[٥].

ومن أسباب كثرة التجارة هو كثرة الموارد والطاقات المادية الموجودة في الأمة وعند النظر إلى واقع امتنا نجد أن الله سبحانه وتعالى هيأ الأسباب الكثيرة لنجاح التجارة بشتى أنواعها والتجارة مهنة كرمها الإسلام ونظرا لأهمية التجارة في بناء حضارة الأمم وتقدمها فقد حث الإسلام عليها ورغب فيها قال تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ]سورة النساء:الآية (٢٩)وقد حذر النبي ﷺ من ذهاب العلم وظهور الجهل في كافة شؤون الحياة الدنيوية والأخروية ومنه فقه التجارة والبيع والشراء وليس ذما للتجارة إذا ما أديرت وفق ضوابط الاقتصاد الإسلامي وسخرت من اجل تحقيق الأهداف العظيمة في الدنيا والآخرة .

ولذا جاء في الحديث ((حتى أستأمر تاجر بني فلان ويلتمس في الحي العظيم الكاتب فلا يوجد))[٦] أي أُشاوره،وهو بيان لكثرة الجهل ، إذ لا يجوز التعليق في البيع ، لكن بعض العلماء

---

(١) – المجتبى من السنن : ٧ / ٢٤٤ .

(٢) – مسند الإمام احمد رقم الحديث ٣٨٧٠ : ١ / ٤٠٧ .

(٣) – المستدرك على الصحيحين : ٢ / ٩ .

(٤) – ينظر : لسان العرب : ١٥ / ١٥٥ ، وحاشية السندي على النسائي : ٧ / ٢٤٤

(٥) – مسند الإمام احمد بن حنبل ، رقم الحديث ٣٧٨٠ ، وقال الشيخ شعيب الارناؤوط إسناده حسن: ١ / ٤٠٧ . وقال عنه الهيثمي رجال احمد والبزار رجال الصحيح :مجمع الزوائد للهيثمي:٧/٣٢٩.

(٦) – سنن النسائي – (٧ / ٢٤٤) والحديث صححه الشيخ الالباني.

جوزوا شرط الخيار لغيره أو بيان لكثرة اهتمام الناس بأمر الدنيا وحرصهم على إصلاحها ، والكاتب الذي يعرف أن يكتب بالعدل ولا يطمع في المال بغير حق والله تعالى اعلم .[١]

وقد اخبر النبي ﷺ انه لا يخشى على هذه الأمة الفقر وسعة ثرواتها وتجارتها ، وإنما يخشى عليها أن تبسط عليهم الدنيا ، فيقع التنافس ففي الحديث إن النبي ﷺ قال : ((فَوَاللَّهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كما بُسِطَتْ على من كان قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهُمْ)) [٢].وفي رواية لمسلم : ((وَتُلْهِيَكُمْ كما أَلْهَتْهُمْ)) [٣]

وقال ﷺ : ((إذا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ)) قال عبد الرحمن بن عَوْفٍ نَقُولُ كما أَمَرَنَا الله قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : ((أو غير ذلك تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ))[٤] .

بعض الدروس والعبر

١. تذكير الأمة بفترة من الزمان تظهر فيها التجارة وتتوسع في آفاقها والعاملين فيها ، وذلك ناتج عن كثرة خيرات الأمة والتطور الاقتصادي الذي تشهده ، وهي مرحلة من مراحل التوسع والتقدم ، فالأمة لا تتسع في تجارتها إلا بكثرة مواردها وعموم السلام فيها .
٢. أسلوب الذم الذي ورد في الحديث ليس لعين التجارة وإنما للجهل بالفقه الاقتصادي الإسلامي المصاحب لها ، وفي ذلك تحذير للأمة من هذا الداء القادم والسعي المتواصل لعلاجه من خلال التأكيد على تفقيه الأمة وخصوصا العاملين بالميدان الاقتصادي وما يتضمنه من أحكام وشروط في الشريعة الإسلامية .
٣. تربية الأمة على شمولية الإسلام ومنهجه في التعامل مع الأموال والتجارة من خلال الموازنة بين مصالح الدنيا والآخرة وان المال وسيلة لا غاية وانه طريق الآخرة .
٤. تصحيح المفهوم الخاطئ لدى بعض أبناء الأمة من التعامل السلبي تجاه التجارة والأموال من الدعوى لتركها باسم ضياع الآخرة وتفشي الحرام ولا يمكن جمعه من الحلال وانه طريق الهلاك مما أدى إلى تمكن أعداء الإسلام من رؤوس الأموال

---

(١) – ينظر : حاشية السندي على النسائي : ٧ / ٢٤٤ .
(٢) – صحيح البخاري : ٣ / ١١٥٢ .
(٣) – صحيح مسلم : ٤ / ٢٢٧٤ .
(٤) – صحيح مسلم : ٤ / ٢٢٧٤ .

والتجارة العالمية ومراكز القرار وتمكن الفقر من عموم المسلمين وانزوائهم في دائرة ضيقة واستثمار أموالهم وطاقاتهم الاقتصادية من قبل الأعداء وتحقيقاً لمصالحهم .

٥. إعداد ملاكات وكفاءات اقتصادية وإدارية إسلامية قادرة على إدارة المشاريع الاقتصادية والتجارة العالمية خدمة لواقع الأمة وتحقيقا لنهضتها الإسلامية بروح العصر وأساليبه المتطورة العالمية الاقتصادية ضمن ضوابط الشريعة الإسلامية .

٦. الحرص على أصول التربية الإسلامية لأبناء الأمة ولاسيما العاملين في المجال الاقتصادي من بيان لحقيقة الدنيا والتنافس على الآخرة وخطورة المال والتجارة والخوض فيها من غير ضابط شرعي وهدف أخروي .

٧. منافسة أعداء الإسلام في التخطيط الاقتصادي وهيمنته على ثروات الأمة الإسلامية والسعي لتحريرها واستثمارها خدمة للأمة ومستقبلها القادم ، والعمل الجاد لإيجاد البديل الصناعي والتجاري الذي من خلاله يمكن الاستثمار الامثل لثروات الأمة وتحريرها من يد الأعداء

٨. التجارة مدرسة عملية لبناء الأخلاق الفاضلة ونشر الدعوة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، ولهذا كانت التجارة سببا لنشر الدعوة إلى الله في بلاد كثيرة منها : الهند والسند واندونيسيا والفلبين ، والتجارة القائمة على الأخلاق الفاضلة إحدى الوسائل العملية لنشر الإسلام .[٣] والله اعلم

٤-انتشار الزراعة

عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال : ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ حتى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فلا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا منه وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا)) .[١]

بعض معاني ألفاظ الحديث

مروجا:المرج ارض ذات كلاء ترعى فيها الدواب ، وفي التهذيب : ارض واسعة فيها نبت كثير تمرح فيها الدواب والجمع مروج[٢] **شرح الحديث**

قال النووي رحمه الله: أنهم يتركونها ويعرضون عنها فتبقى مهملة لا تزرع ولا يسقى من مياهها وذلك لقلة الرجال وكثرة الحروب وتراكم الفتن وقرب الساعة وقلة الآمال وعدم الفراغ لذلك

(٣) ينظر : اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد حسن أبي يحيى : ص ١٧٨ . ١٨٠ .

(١) – صحيح مسلم :٢ / ٧٠١ .

(٢) – لسان العرب – (٢ / ٣٦٤)

والاهتمام به قال القرطبي وتنصرف دواعي العرب عن مقتضى عادتهم من انتجاع الغيث والارتحال عن المواطن للحروب والغارات ومن عزة النفوس العربية الكريمة الأبية إلى أن يتقاعدوا عن ذلك فيشتغلوا بغراسة الأرض وعمارتها وإجراء مياهها كما قد شوهد في كثير من بلادهم وأحوالهم(١)

وإشارة الحديث واضحة في خضرة الأرض وانتشار المياه التي تكفي لزراعتها مما يؤدي إلى انتشار الزراعة ، وتحول الأرض إلى واحة خضراء جميلة .

والحديث يشير أيضا أنها كانت في السابق مروجا وانهارا، وهذا قبل البعثة النبوية والله اعلم فمعلوم أن ارض العرب قاحلة شحيحة المياه قليلة النبات غالب مياهها من الآبار والأمطار.

ويؤيد ذلك ما قاله النبي ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ في غزوة تبوك عندما اخبرهم بعين تبوك وكانت عين قليلة المياه لا تسد الحاجة فغسل رسول الله ﷺ وجهه ويديه فجرت العين بماء منهمر ثم قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : ((يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ الْحَيَاةُ أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا))(٢)

وقد تحقق جزء كبير من هذه الأخبار ، فعند النظر إلى ارض الجزيرة العربية كيف تطورت وسائل إصلاح الأرض من حفر للآبار ومد شبكات المياه وحفر للأنهار وتحولت مساحات واسعة من ارض قاحلة إلى واحات خضراء وبساتين متشابكة الأغصان في العراق والسعودية والسودان ودول عربية وإسلامية ، فما تملكه الأمة من طاقات عظيمة في شتى الميادين ، فلو استثمرت استثمارا جيدا في استصلاح الأرض لتحولت ارض الجزيرة مروجا وانهارا .

ومن المعاني التي يحتملها الحديث إن هذا التحول بسبب التغيير الطبيعي في جيولوجيا الأرض ومناخها ولم يكن بأمر خارق للعادة خارج عن ماهية البشر وسعة طاقاتهم وإدراكهم وفي الحديث دعوة لأبناء الأمة للنهوض بالمستوى الزراعي إلى أفضل صورة وقد حفلت السنة النبوية بأحاديث كثيرة في هذا الباب. وحث الإسلام على الزراعة وأمربالعمل فيها واعتبرها من الوسائل الفعالة لتنمية المال تنمية مشروعة ومما يدل على ذلك : قول النبي صلى الله عليه وسلم :((من كانت له أَرْضٌ فَلْيَزْرَعْهَا))(٣)

---

(١) – شرح النووي لصحيح مسلم :٩٧/٧ والديباج على مسلم لعبد الرحمن بن أبي بكر أبي الفضل السيوطي : ٢ / ١٩٥ .

(٢) – صحيح مسلم : ٤ / ١٧٨٤ .

(٣) – صحيح البخاري : ٢ / ٨٢٤

وقوله صلى الله عليه وسلم :(ما من مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أو يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ منه طَيْرٌ أو إِنْسَانٌ أو بَهِيمَةٌ إلا كان له بِهِ صَدَقَةٌ))[١]

بل أمر الإسلام بالعمل واستصلاح الأرض وزرعها إلى أخر ساعة من الحياة وهي نهاية الدنيا وقيام الساعة : فعن انس بن مَالِكٍ ﷺ قال : قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : ((ان قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فان اسْتَطَاعَ ان لاَ يَقُومَ حتى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ))[٢]. وينبغي الموازنة مع غيرها من دعائم الاقتصاد فإن إحدى أسباب التخلف لواقع الأمة الإسلامية وضعفها الاقتصادي واستذلالها من قبل الأعداء أنها اعتمدت على الزراعة وحدها في فترة ما كنشاط أساسي لاقتصادياتها واستكثرت منها ، غير ملقية بالا إلى التجارة والصناعة وما إليها ، بالقدر الذي تحتاجه فعلا لكفايتها الذاتية اقتصاديا أو على الأقل بالقدر الذي لا يدع مجالا لتحكم غيرها فيها .[٣]

بعض الدروس والعبر

١. تذكير الأمة بالرخاء الاقتصادي الذي ينتظرها من سعة الأموال وانتشار الزراعة وكثرة مواردها .
٢. التأكيد على الإصلاح الزراعي وضرورة تنميته والاهتمام به بأفضل الوسائل الحديثة خدمة لواقع الأمة ونهضة لمستقبلها من خلال تحول الأرض الجرداء الخالية من النباتات إلى واحات خضراء ولا يكون ذلك إلا بالاستثمار الأفضل للأرض
٣. تخصيص ارض الجزيرة العربية بالاهتمام لا يعني إهمال غيرها ، لكن من باب التأكيد على الأرض التي عاشوا عليها وانطلقت الفتوحات منها ، والأحاديث في فضل الزراعة وأهميتها عامة لكل زمان ومكان
٤. تطوير الاستثمار الزراعي بكل ما يحتاجه من متخصصين وعاملين واستخدام أفضل الوسائل الحديثة في الإصلاح الزراعي .
٥. التطور الزراعي للبلاد الإسلامية يمنحها قوة عظيمة لمواجهة تحديات الأعداء وما يستخدمونه من أساليب استذلال وفرض ضرائب على المسلمين فضلا عن إضعاف قوة العدو الاقتصادية .

---

(١) – صحيح البخاري : ٢ / ٨١٧ ،

(٢) – مسند الإمام احمد رقم الحديث ١٣٠٠٤ ، باقي مسند المكثرين : ١٣ / ١٩١ ، قال شعيب الارناؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٣) – ينظر : موسوعة الاقتصاد الإسلامي للدكتور محمد عبد المنعم جمال :ص ١١٥ . ١١٦.

٦. الاستثمار الأفضل لثروات الأمة الزراعية يكون من باب الوجوب ؛ لأن إعداد القوة لا يكون إلا بمال وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

٥-القطاع العمراني

وأما القطاع العمراني فحدث ولا حرج، تجد آيته فيما عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "وحتى يتطاول الناس في البنيان"[١].

أي حتى يتزايدوا في طوله وعرضه أو يفتخروا في تزيينه وتحسينه وهذا غير مقيد بزمان المهدي بل المراد به أما بعده وأما قبله فإن الآن قد كثر البنيان وافتخر به أهل الزمان وتطاول به اللسان في كل مكان وهدموا العمارة الموضوعة للخيرات وجعلوها دورا وبساتين ومواضع [٢]و لعل هذه الصورة أوضح ما تكون في أيامنا هذه، إذ تنتشر البروج وناطحات السحاب في مختلف المدن الإسلامية وبخاصة الخليجية منها. وهذه الصور الوضيئة الناطقة بحدوث نقلة واسعة واعدة في مجال التنمية وتنم عن الرفاه الاقتصادي والاستقرار السياسي.[٣]

٦-شيوع الأمن والاستقرار السياسي

١-عن خَبَّابِ بن الْأَرَتِّ ...((..والله لَيَتِمَّنَّ هذا الْأَمْرُ حتى يَسِيرَ الرَّاكِبُ من صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إلا اللَّهَ وَالذِّئْبَ على غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ))[٤]

٢-عن عَدِيِّ بن حَاتِمٍ قال بَيْنَا أنا عِنْدَ النبي صلى الله عليه وسلم إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إليه الْفَاقَةَ ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا قَطْعَ السَّبِيلِ فقال : ((يا عَدِيُّ هل رَأَيْتَ الْحِيرَةَ)) قلت لم أَرَهَا وقد أُنْبِئْتُ عنها قال : ((فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ من الْحِيرَةِ حتى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إلا اللَّهَ قلت فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قد سَعَّرُوا الْبِلَادَ . . . .))[٥]

الشرح

ومما اخبر به المصطفى ﷺ انتشار الأمن في زمن ما حتى يعم الأمن والسلام ، حتى نكاد لا نجد السراق وقطاع الطرق الذين يهددون الأمن وينشرون الخوف بين ربوع الناس ، حتى يصل الحال أن تسير القافلة المحملة بالتجارة النافعة أو تسافر المرأة أو الرجل المسافة البعيدة لوحدهما

---

(١) – صحيح البخاري – (٦ / ٢٦٠٥)

(٢) – مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – (١٥ / ٣٨٨)

(٣) – ينظر: اهتمام السنة بالاستشراف و التخطيط للاستاذ الدكتور كايد يوسف قرعوش،مقال عبر شبكة الانترنيت.

(٤) – صحيح البخاري : ٦ / ٢٥٤٦

(٥) – سبق تخريجه

من غير خوف أو تردد إلا من الله سبحانه وتعالى ، وذلك للأمن والسلام الذي يعم الأمة كما صح في بعض الأحاديث .

قوله ﷺ : ((لَا يَخَافُ إلا اللَّهَ وَالذِّئْبَ على غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)) قوله والذئب عطفا على المستثنى منه لا المستثنى كذا جزم به الكرماني ولا يمتنع أن يكون عطفا على المستثنى والتقدير ولا يخاف إلا الذئب على غنمه ؛ لأن مساق الحديث إنما هو للأمن من عدوان بعض الناس على بعض كما كانوا في الجاهلية لا للأمن من عدوان الذئب وكذلك الغرض منه انتفاء الخوف من الكفار على المسلمين والمبالغة في حصول الأمن وزوال الخوف .

(ولكنكم تستعجلون) : أي لا تستعجلوا فان من كان قبلكم قاسوا ما ذكرنا فصبروا واخبرهم الشارع بذلك ليقوى صبرهم على الأذى .[١]

وقبيلة طي مشهورة بقطع الطريق على من مر بهم بغير جوار ولذلك تعجب عدي كيف تمر المرأة عليهم وهي غير خائفة .[٢]

وذهب بعض أهل العلم إن ذلك وقع في زمن الصحابة أو أن يقع في زمن نزول عيسى عليه السلام وقد رجح ذلك ابن حجر رحمه الله .[٣]

والواقع إن قضية الأمن وانتشاره في عموم البلاد مرتبط بواقع الأمة وما تمر به من تغيير وإصلاح فكلما كثر العدل وازدادت الخيرات وتفقهت الأمة بدينها واعتصمت به وتخلقت بأخلاق نبيها وحكم ولاتها بالعدل والمساواة عند ذلك تقل الجريمة ويعم الأمن والسلام في ربوعها ، وشريعة الإسلام قادرة وكفيلة بإعادة الحياة الآمنة المستقرة إلى واقع الأمة في كل زمان ومكان متى وجدت وحكم بها وسارت الأمة عليها لاسيما الولاة ومن يتولى إدارة زمام الأمور ، وحدثنا التاريخ عن أحوال العرب قبل البعثة النبوية من قطع للطرق واعتداء على الحرمات وسرقة للأموال واعتداء القوي على الضعيف ، ثم بعد انتشار الإسلام كيف تغيرت الحياة وعم الخير والأمان والشواهد في ذلك كثيرة .

إن تحديد زمن معين في نهاية العالم لهذه المعجزة الربانية تحديد من بركتها وتضييق لمعالمها الواسعة في استيعاب أحوال الأمة غير أن وجودها مرتبط بعلة متى وجدت وجد ذلك الخير وذلك أسلوب نبوي في تحريك الطاقات وتوجيهها للإصلاح والعمل المتواصل من اجل

---

(١) – ينظر : فتح الباري : ٧ / ١٦٧ عمدة القارئ : ١٦ / ١٤٦ ، ومرقاة المفاتيح بشرح مشكاة المصابيح : ١٠ / ٥٥٣.

(٢) – تحفة الاحوذي : ٨ / ٢٣٢ .

(٣) – فتح الباري : ٧ / ١٦٧ .

خدمة الأمة ، وفي الحديث الشريف تبشير للصحابة الكرام بمستقبل الإسلام الخالد وما ينتظرهم من خير ورفاه وامن واستقرار وهو يمر بفترة عصيبة من قلة عدد وعدة وهم يواجهون الجاهلية بألوانها المتعددة وعدوانها السافرة وذلك أسلوب عظيم في شحذ الهمم واستنهاض الطاقات وتحمل الأذى ومواصلة العمل .

الخاتمة والتوصيات

١- تعزيز الدراسات في علم الاستشراف المستقبلي و التخطيط في السنة النبوية في جميع الجوانب ولاسيما الاقتصادية لأهميتها على واقع ومستقبل الامة.

٢- الارتقاء بعلم الاستشراف المستقبلي في عالمنا الإسلامي، وتجريده من الدجل والشعوذة والتنجيم.

٣- الدعوة إلى الإفادة من منهجه صلى الله عليه وسلم في التخطيط والاستشراف للتنمية الاقتصادية ومعالجة الأزمات الاقتصادية و الاجتماعية، و بخاصة في هذه الظروف التي تتسم بالتضخم وارتفاع الأسعار .

٤- التأكيد على شكر النعمة في حق الأفراد و المجتمعات،وجميع السبل التي تحافظ عل النعم و عدم استمراء حياة الدعة و الترف التي باتت تخيم على كثير من أجوائنا استبقاء للنعمة.

والحمد لله رب العلمين

المصادر والمراجع

١. القران الكريم

٢. أحاديث أشراط الساعة للدكتور محمد بشار محمد أمين الفيضي،اطروحة دكتوراه كلية العلوم الاسلامية،جامعة بغداد،١٩٩٦م.

٣. استشراف المستقبل في الحديث النبوي ، بحث للدكتور محمد بشار الفيضي ،الجامعة الاسلامية، بغداد ٢٠٠٣م.

٤. اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد حسن أبي يحيى ، دار عمار للنشر ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ . ١٩٨٩ م

٥. اهتمام السنة بالاستشراف و التخطيط للاستاذ الدكتور كايد يوسف قرعوش،مقال عبر شبكة الانترنيت.

٦. تاج العروس من جواهر القاموس ،المؤلف : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.

٧. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، تأليف: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، ت ١٣٥٣ هـ ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت .

٨. الثانية ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، رقم الحديث ٤٤٥٦ ، كتاب البيوع ، باب التجارة

٩. الجامع الصحيح المختصر لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي ، دار ابن كثير ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ . ١٩٨٧ ، تحقيق : مصطفى ديب البغا

١٠. الجامع الصحيح سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي السلمي ، دار إحياء التراث الإسلامي ، بيروت ، تحقيق : احمد محمد شاكر وآخرين

١١. حاجتنا إلى علوم المستقبل للأستاذ محمد حبش ، بحث في مجلة المسلم المعاصر العدد ٦١ ، سنة ١٩٩٢ م

١٢. حاشية السندي على النسائي لنور الدين بن عبد الهادي أبي الحسن السندي ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ١٤٠٦ . ١٩٨٦ ، الطبعة الثانية ، تحقيق : عبد الفتاح أبي غدة

١٣. حاشية السندي على النسائي لنور الدين عبد الهادي أبي الحسن السندي ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ١٤٠٦ . ١٩٨٦ ، الطبعة الثانية ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة

١٤. حجة الله البالغة ،المؤلف: أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بـ «الشاه ولي الله الدهلوي» (المتوفى: ١١٧٦هـ) المحقق: السيد سابق الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م

١٥. زاد المعاد في هدي خير العباد ،المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ،الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ،الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

١٦. سبل السلام ،المؤلف : محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (المتوفى : ١١٨٢هـ) الناشر : مكتبة مصطفى البابي الحلبي الطبعة : الرابعة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م

١٧. سنن ابن ماجه، تأليف: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، ت ٢٧٣هـ ، دار النشر: دار الفكر – بيروت – –، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي

١٨. سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الازدي ، دار الفكر ، بيروت ، تحقيق : محمد محي الدين الخطيب .

١٩. السِّيرةُ النّبوية – عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث ،المؤلف: عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: السابعة، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

٢٠. صحيح ابن خزيمة، المؤلف : محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، ١٣٩٠ – ١٩٧٠ تحقيق : د. محمد مصطفى الأعظمي.

٢١. صحيح مسلم بشرح النووي، تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ت ٢٦١ هـ ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٣٩٢، الطبعة: الطبعة الثانية

٢٢. صحيح مسلم بشرح النووي، تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ت ٢٦١ هـ ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٣٩٢، الطبعة: الطبعة الثانية

٢٣. صحيح مسلم لمسلم أبولحسين القشيري النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

٢٤. صناعة القائد ، تأليف : د . طارق محمد السويدان ، الأستاذ فيصل عمر باشراحيل ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م .

٢٥. صناعة القائد، د .طارق محمد السويدان وأ .فيصل عمر باشراحيل ، الطبعة الرابعة ،٢٠٠٦ م

٢٦. صور المستقبل العربي ، مجموعة من الباحثين العرب، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،الطبعة:الثالثة،١٩٨٩

٢٧. صور المستقبل العربي ، مجموعة من الباحثين العرب، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،الطبعة:الثالثة،١٩٨٩ .

٢٨. العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري لفتحي يكن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة التاسعة

٢٩. العداء الغربي للعالم الإسلامي للأستاذ الدكتور صبري فارس الهيتي

٣٠. عون المعبود شرح سنن أبي داود، تأليف: محمد شمس الحق العظيم آبادي ، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٥م، الطبعة: الثانية

٣١. العين ، تأليف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار النشر: دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي

٣٢. غريب الحديث لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبي محمد ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٣٩٧ ، الطبعة الأولى ، تحقيق : د . عبد الله الجبوري

٣٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة ، بيروت، تحقيق : محي الدين الخطيب

٣٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت ٨٥٢ هـ ، دار النشر: دار المعرفة – بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب

٣٥. فقه السنة ،،المؤلف: سيد سابق (المتوفى: ١٤٢٠هـ) ،الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ،الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧ ،

٣٦. فقه السيرة ، تأليف : الشيخ محمد الغزالي ، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ، الكويت ، ١٤٠٠ هـ . ١٩٨٠ م .

٣٧. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الاسلامية ، تاليف : الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، دار النشر : دار السلام بالتعاون مع دار الفكر ، الطبعة : التاسعة عشر ، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م .

٣٨. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم ، تأليف : الدكتور علي محمد الصلابي ، دار النشر : دار المعرفة ، بيروت ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م ، الطبعة : الثانية .

٣٩. كيف تخطط لحياتك للدكتور صلاح صالح الراشد،مركز الراشد، شركة مطابع المدينة، الكويت

٤٠. لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ت ٧١١ هـ ، دار النشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى .

٤١. المجتبى من السنن لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ١٤٠٦ . ١٩٨٦ ، الطبعة

٤٢. مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة المؤلف: تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة وقد صدرت في ١٣ عددا،المكتبة الالكترونية الشاملة الاصدار الخامس

٤٣. مدخل إلى التنمية المتكاملة، أ .د عبد الكريم بكار ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠١م .

٤٤. المستدرك على الصحيحين ، مع تعليقات الذهبي في التلخيص لمحمد بن عبد الله ابي عبد الله الحاكم النيسابوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٢١ هـ . ١٩٩٠ م ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا

٤٥. مستقبل الإسلام في الغرب والشرق ، مراد هوفمان ، د . عبد المجيد الشرقي ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٩هـ . ٢٠٠٨ م الصفحة الثانية للغلاف.

٤٦. مسند الإمام احمد بن حنبل للامام احمد بن حنبل ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠ هـ . ١٩٩٩ م ، تحقيق : شعيب الارناؤوط واخرين .

٤٧. المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود الباحث في القرآن والسنَّة،المكتبة الاكترونية الشاملة الاصدار الخامس.

٤٨. مقدمة في الادارة الاسلامية للدكتور احمد بن داود المزجاجي الاشعري ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٠م .

٤٩. موسوعة الاقتصاد الإسلامي للدكتور محمد عبد المنعم جمال ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ . ١٩٨٦ م

٥٠. النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ت ٦٠٦ هـ ، دار النشر: المكتبة العلمية – بيروت – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي .

٥١. ومرقاة المفاتيح بشرح مشكاة المصابيح لعلي بن سلطان محمد القارئ ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١ م ، الطبعة الأولى ، تحقيق : جمال عيتاني

٥٢. اليوم الآخر ، القيامة الصغرى وعلامات القيامة الكبرى ، لـ د . عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩١ .